« القامعون» لسميرة المانع.. رسالة تحذير من الإنهيار

بلقيس حميد حسن
امستردام

بشّر القاتلَ بالقتل..

كم سمعت هذه العبارة « الحكمة «من أمي منذ كنت طفلة، وكم كانت هذه العبارة أساسا بُنيتْ عليه عشرات القصص الشعبية والحكايات التي سمعتها منذ الصغر، فلكل قصة هناك عبرة، وكم كانت القصص التي اختصت بهذه الجملة المهمة كثيرة..

قبل فترة قصيرة أهدتني الأديبة سميرة المانع مشكورة روايتها «القامعون»، والسيدة سميرة المانع هي احدى مبدعات العراق المغتربات، اللواتي اعطين ويعطين الكثير بصمت وبلا اضواء أو تجمهر.

هناك حقيقة لا بدّ من تذكرها عند قراءة أي عمل لامرأة عربية اينما كانت، وهي ان الدموع والسهر والارهاق والتحدي والمعوقات هي المرافق الاكثر حضوراً لها في انجاز العمل. من هنا كان اهتمامي بتسليط الضوء على اعمال النساء وفاءً مني لقضية المرأة التي بدون حلها بالعدالة الاجتماعية والمساواة لا يمكن ان نبني اية حضارة انسانية حديثة، ولا يمكن ان يكون أي بناء بدون مساهمة المرأة إلا ناقصا خاليا من الروح بل سيكون حتما مشكوكا بقدرته على الاستمرار والعطاء..

في رواية « القامعون» للمبدعة سميرة المانع والصادرة عن دار المدى عام ١٩٩٧ في سوريا، تفتح الكاتبة روايتها بتذكيرنا بقسوة مرعبة في التاريخ البشري، مارسها الانسان الذي حصد نتائجها بعد ذلك دمارا وقسوة اكثر وحشية. لقد استشهدت الكاتبة بما نشرته صحيفة نيويورك تايمز في ١٥ اكتوبر عام ١٩٣٣ مستعرضة كتاب كفاحي لهتلر قائلة:

(اولئك الذين يريدون ان يحلوا لغز الهتلرية، عليهم ان يبحثوا في تاريخ الألمان، فحرب الثلاثين سنة التي انتهت في عام ١٦٨٤ قللت من سكان المانيا البالغ عددهم ٢٤ مليوناً الى أربعة ملايين. لقد أجاز القانون الزواج من اكثر من واحدة، وبيع لحم الكائن البشري في أسواق هيدلبرك. لم يعش آنذاك، إلا القساة والأقوياء...).

هذه الحقيقة المرعبة التي عاشتها مجاميع البشر في ألمانيا والتي أنتجت قسوة هتلر ورجالات النازية، أكلت اليابس والأخضر في أعوام الحرب العالمية الثانية بأوروبا، تذكرنا بغيرها من إحداث عربية طبعت التاريخ العربي بمفردات وأفعال مازال الكثيرون يرددونها ويؤمنون بأنها حلّ لقضايا كثيرة مع الأسف. فالقتل، الوأد، الثأر، حرب البسوس، غسل العار، اسلم تسلم، وغيرها مما تحفل به كتب التاريخ العربي، تركت لنا أرثاً نفسياً معقدا لأناس عشقوا التعدي على الغير، وتمادوا في القسوة والظلم، وصار دم الإنسان لديهم مباحا. أتذكر هنا حادثة في تاريخنا ما قبل الإسلام حيث كانت عادة وأد البنات سائدة ويمارسها جميع الناس تقريبا حتى عليّة القوم خوفا على الشرف عندما يكبرن.

أتذكر ما أخبرتني به أمي منذ الطفولة كيف ان أباً كان يغطي ابنته بالتراب لتختنق وهي تمد يدها للحيته ماسحة ماعلق بها من حبات تراب، وهو لا يتوقف عن أهالته عليها وقتلها.. فهل هناك قسوة اكبر من هذه؟ وهل ان أحدا من هؤلاء القتلة عوقب على جريمة القتل التي مارسها بحق البشرية جمعاء. لقد كان بعضهم يقتل جميع ما تنجب زوجته من البنات وان كن سبعاً او عشراً، ألا ينطبق علينا ما انطبق على المانيا لنعترف بأن القسوة والقتل تراث بقي يسري في دماء الكثيرين من العرب؟

لقد كتبت الكاتبة أكثر أحداث رواياتها « القامعون «عام ١٩٦٨ حيث عكست ما به من ظلم وإذلال للإنسان، عبر نموذجين. فجاسم الرجل وهو الضحية والقاتل غالباً وسعدية المرأة الضحية عبر قرون، يتكررون في كل مكان في العراق وعلى مدى اجيال وازمان سحيقة، كما عكست استبداد السلطات التي توالت على حكم العراق قهرا تلو الآخر، لتكمل احداث رواياتها بعام ١٩٩٦ مشخصة لنا نتائج كلّ ما مّر على المجتمع من عنف واضطهاد للانسان وحروب، ومجازر، وانتهاكات حقوق، مبرهنة على صحة رسالتها في ان العنف والظلم يتولدان من بعضهما عبر حيوات الناس، وان ما يزرع من بذور شيطانية سينبت حتما موتاً وخراباً ليصل العراق الى حالته هذه..

في عام ٢٠٠٣ بعد سقوط نظام صدام نقل لي بعض الأقارب والأصدقاء أنهم رأوا بأمّ أعينهم رجلا يجلس في منطقة كراجات علاوي الحلة في بغداد واضعا قطعة كتب عليها: (قاتل مأجور، الرأس ٢٥٠ الف دينار عراقي)!

الا تشبه هذه الحالة مااستهلت به الكاتبة سميرة المانع روايتها عما حصل في المانيا؟

دعونا نناقش ما أرادته الكاتبة من وجهة نظر علم الاجرام الذي يؤكد هو الآخر بان من يقوم بارتكاب جناية القتل عمدا ويكررها يصبح مجرما معتادا ويشكل خطرا على المجتمع، من هنا صارت قوانين العقوبات تشدد على هكذا نوع من الجناة لخطورتهم القصوى، فمعتاد القتل يصبح مثل مصاص الدماء يستسيغ الدم البشري، ويقتل بدم بارد، لكننا نرى ان القتل للبشر اثناء الحروب- مثلا- يُشجع عليه الشباب في جبهات الحروب باعتبار المقتول عدوا، او تكون العقوبة غير رادعة ولا مخيفة في مجتمع يقدس قتل المرأة تحت ذريعة الشرف المهدور، كما جاء على لسان عبود شقيق سعدية حين خاطبها قائلا: «أتستحقين السنتين؟!

كان يحسب ما سيناله من عقاب لدى الحكومة بعد قتلها. ومن المعلوم ان عقاب سنتي حبس له، هي غاية ماسيحصل حسب القوانين العراقية، مادام القتل غسلا للعار»

لكن عبود استكثر العقوبة مقابل قتل اخته، فأجبرها على حرق نفسها مع كل أثاث البيت بعد ان أخرج زوجته وابنتهما من الدار، ليسجل تحقيق الشرطة القتل قضاء وقدرا فقط..

اذن قتل المرأة او البنت ظل دائرا في مجتمعاتنا منذ الجاهلية حتى الان، لأن المجتمعات العربية لم تتوقف فعليا عن وأد النساء الذي حرّمه الإسلام، انما هي تمارسه باسلوبه القديم والحديث حيث حولته الى وأد من نوع آخر، فالوأد صار ابعادها عن المجتمع وعزلها في البيت محرومة من ابسط الحاجات الانسانية الطبيعية مثل بقية المخلوقات. والوأد هو تغطيتها بالسواد تماما لترى نور الدنيا مشوبا بظلمة الحجاب. والوأد هو عدم تعليم الفتيات وعدم السماح لهن بممارسة الهوايات الشخصية كما يمارسها الرجال. والوأد ان تتزوج رجلا لا تعرفه، او لا تريده. والوأد ان تجبر البنت في حياتها على كل ما لا ترضيه، ارضاء للمجتمع او العائلة او التقليد او القبيلة او لأي اعتبار آخر يتعارض مع حاجاتها البشرية. الوأد ان تزغرد الأم وتهلل حينما يقتل ابنها بحرب مهما كانت دوافعها، فمسخ عواطف الأمومة لصالح دوافع السيطرة الذكورية وسواها وأد. وجعل النساء باردات في الجنس وختانهن خوفا على الشرف وأدٌ . وعدم السماح للبنت بالسفر للتزود من تجارب الحياة ومعرفة العالم وأدٌ . كل مايفعله المجتمع العربي بالنساء هو وأدٌ في وأد، والمتتبع لضحايا غسل العار في العالم العربي اليوم، واحوال المرأة ومعاناتها يستطيع ان يكتشف هذه الحقيقة وبسهولة..

لقد أكدت أحداث الحياة ما أرادت الكاتبة سميرة المانع أن توصله للناس في « القامعون» من ان القتل يولّد قتلا، والحرمان يولد قسوة، والقسوة تولد إمراضاً نفسية، والإمراض تولد دمارا لا لـ «سعدية» وأمثالها فقط، انما سيكون الدمار شاملا. فالذكور يتوارثون العنف والمرض جيلا بعد جيل. الكل في داخله صورة دونية للمرأة والكل يستسهل قتلها، والدائرة تدور على كل الصعد لنتفاجأ بوجود قتلة بين ظهرانينا، يقتلون الرجال والنساء وحتى الأطفال، يزدادون كل يوم، ناشرين القنابل والمفخخات والتناحر والصراعات العدوانية تحت مسميات السياسة او الاختلاف الطائفي، او الدين او الاقتصاد او حتى التنافس مهما كانت مجالاته ليصبح حقدا وغيرة عمياء تصل حد التصفيات الجسدية، عندها ننوء بعبء ثقيل من الإحباط واليأس والخراب ونتساءل لماذا نتخلف نحن وتتطور سوانا من الأمم؟..

سميرة المانع

حكاية في التراب

طالب عبد العزيز

قبل أنْ تُسوّى الطريقُ بالحجارةِ
والرمل الصلد .
ولما ينحَن الحديدُ أضلعا على الجسور
قبل الإسفلت والقطران والزيت
كان التراب دليلا على الأسماء ،
أسماء ورسوم رواة النخل
من الصاحب علي بن محمد
حتى الفلاح عبد العزيز ...
أكثر الماضين صمتا،
كنت أعرف من دخل الغابة أولا ،
ومن أنفق فحولته هناك ،
قبل أن تلتئم السواقي عليه
وتهزمه الشموس ..
من اكتفى بالسعف سقفا لنهاره
من آمن برغيفه اليابس ،
واطمأن لصرة التمر فيه
وأعرف ،من عاد بالرطب والقرع واللبن
ومن ثقلت على ظهره الجذوع ،وخانته القناطر
من عاد بالعنب واليقطين واللوبياء
أعرفهم جميعا،
من الثبات والترنح
من الخلوة والامتلاء،
من العز والحاجة والظفر بالوقت
من التراب، لغة العابرين على الفناء
أعرف ذلك كله ،أعرفه
لكأني أنظر في باطن كفي هذه !
لا يتساوى حامل الحطب مع حامل التمر،
ولا الذاهب في الصباح
مع العائد منه في الغروب،
لأن القدم تزيح من التراب قدر انتفاعها منه
هكذا أتهجى الأرض وأتعلم السماء
فمن كانت ضالته بعيدة أسرع لها
ومن شغله شاغل المد والجزر ..
فقد توازن قدميه على القنطرة
وطاش مع الطائشين ...
ومن سار صحبة جاره
صعب التفريق بينهما ،
حتى يدخل ثالث في قافلتهم
ومهما علق الولد بركاب أبيه، بانت خطاه
وُعرفَ تُرابُه،
من الخوف والندم والجحود
تأتي المسرات
وتأتي المعاني أحيانا ،
هي وثبة العارف الذي يُعجزه السّياج
الوقوف المرتبك على الصخر !
...
في الشتاء، تظلُّ تزأرُ الجذوعُ في الغابة ،
وخائفةً ،تقترب السواقي من بعضها
تصير أسيجة القصب كلابا في الروح ..
أنئذ ،لا يمنحك التراب صورة مثلى للأشياء،
فيختلط حابل المالكين بنابل الفالحين والحاطبين
وحيث اتسعت دائرة الوحول
تفقد الذاكرة الأسماء والصور والزمن
يأتي المطر ليبلل زنابيل الكتان ،
وأخرُ تنوء به الشبابيك،
فتنعقد حبال باعة القصب،
وينسى قاطفو اللفت مناجلهم ،،
هناك، تضيع خطى الغادين مع خطى الرائحين،
فلا هذه أصابع فلان ، ولا تلك كعوبُه
ومثلما يمزق طفل رسومه ،
كانت نهايات السعف تمحو الهاربين من تساقط الغيم
أشياء صغيرة كانت تضيع..
مغارز فضة ، ومراوح خوص ملون
مخلوقات من طين جريء ،
ومساند خشب ..
معان لا حصر لها، ظلت تتخرم في لوح الروح
هي الأقدام في تلعثمها وراء النخل
أو في هروبها من النسيان .
...
عبر الطريق الترابية تلك،
أستعيد حكايات الذين ساروا على الريح ،
ولما ماتوا ،فرقتهم الأضرحة على الأنهار،
أولئك ،الذين أجهزوا على أيامهم في الأعالي
يصعدون السماء بحبال الليف
ليفرقوا بين السعف والعذوق ..
أستعيد أسماء الأنهار التي غمرها المد ،a
وتلك التي نأت في السباخ
قصص الذين سقطوا مثلما الشماريخ ،
وظلوا حتى مغيب الأشياء، تحت الجذوع
باسطي الأكف ،قبل أن يهتدي إليهم أبناؤهم
وقبل تقاطع العراجين على أجسادهم...
حتى تدافع النائحات ،
حيث تضج بهم الغابة الآن .
...
لتزأرْه الأسودُ في الفلوات
ولتنبحْه الكلاب ...
ولتدخل الأفاعي بيته
ولتنهش وجهه المرايا ،
ولتشمئز منه أطرافه وثيابه ...
هذا الذي قادني إلى المدينة ...
وعلمني الأبواب،وفضائل المفاتيح
ولتحرق كبده النار..
هذا الذي أغراني بالخمر والكتب والنساء،
هو أخرجني من الغابة،
فرّق بيني وبين الأنهار...
أوقفني على الإسفلت
أنا آخر الخصيبيين على التراب
أوقفني على الإسفلت،
وأمام الأسمال والكرات والسكك الضيقة،
أنكر طفولتي عليَّ ..
وأربكني وسط حشد الفراشات،
أنا .. الأمين على السعف والقصب
والحلفاء والسواقي الممتلئة ..
كنت اختلاسَ الندى على الغصون
مشيبَ السفرجل في الريح
وفرحَ الماء على الماء
كانت البغضاء حبة لا تلتقطها عصافير روحي
شاهدي على ذلك التراب .
لما تزل قدمي تخفق به
هل أدلك على أكثر الحجر خيبة ..؟
عيني، التي لا تبصرك في الصورة
هل أدلك على أكثر الكلام قسوة...؟
حين أعد أصابعي، وأتخطاك .
...
كنت لا أمد يدي إلا لأحيي طائرا
أو لأزرع فسيلا ..
ولا أستردها إلا مملوءة رطبا
ولما غلظت في الأيام..
قبضتها على المناجل والمعاول والأزاميل
فقشطتُ السباخ في البراري
وحملتُ الرعود مع الغيم ..
فطرتُ بها كبد الأرض،
وأرعبتُ الوحول ...
ولما إشتجرت عروقا ..
غرستُ التوت والقرع والأجاص والجلنار
جعلت السفرجل أعلى من حائط المسجد
والدُّراقَ أحمر، وجذوع النخل صلدة
ولما كان الماء يخرّبُ على الناس الجسور
تجاسرت على الماء
فخنقته بالليف والقمصان القديمة
ومن صفصافة على المسناة
صحت بالريح، تصارع الميازيبَ
وعذوقَ الموز،
صحت بها ،تفرق بين الفسائل الصغيرة ،
صحت بها تقتلع أسوار القصب والخيزران
تنخلع الميازيب ، وتنكفيء أطباق الخوص
صحت بها تزأر على السطوح والثياب والقوارب ...
أيتها الريح .يتها الريح .....
أثبت منك فاختة بين الأغصان .
...
بكيت حين سبقتني الحملان إلى الغابة ذات يوم ،
بكيت بكيت..
لكأني خسرت الحرب مع قلبي
ولما أوقفتني الشمس مشرقة على العشب
تعلمت درسا في الألوان
وحين كانت الجرادل تصطك في البئر
كنت أعيب على الفارغات خلودها في الريح
هي تكمل دورتها .
فأقول : التعاقب مهارة الفانين !
والزمن فصاحة على التراب.. فيقول : لا ،
أنت لا تعلم من التراب إلا ما طاش عنه قدمك
فامسك عليك قلبك!
أسمّيه الندى... ويسميني الخسران
أمنحه الحجر ، فيسبقني إلى المعاول
أريه الخطى التي مشيت بها إليه
فيمحو التراب ...
أصعد المئذنة معه ، فيركب ظهر الهلال
وحين سكبت جدولي على خريطة يده
قبضها ، فلم تسقط قطرة منه
يكتفي من شجري بما أظله
وبما يسكره من خمر روحي
ومن ربيع أيامي ما أعشب تحت قدمه
يعيب على جناحي السماء
هو ، يعيب على جنّاحي السماء

تعقيب على مقال

جزء من النص مفقود! حول مؤتمر للرواية العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

كتب الأستاذ شاكر الانباري –وهو واحد من الروائيين العراقيين المحدثين – مقالة في المدى الثقافي يوم السبت المصادف ٣٠ مايس الماضي تحدث فيها عن الرواية العراقية الحديثة وتحولاتها بعد نيسان ٢٠٠٣، واشار الانباري في مقالته على نحو دقيق الى مجموعة التحولات التي حصلت في المجتمع العراقي سياسيا واجتماعيا، والى الانشطار الجلي داخل المجتمع المديني وسيادة الطائفية والمناطقية على التوجهات العامة للمجتمع، وبالتالي: لا بد من تجسيم تاثير ذلك على وثيقة العصر، الرواية.

وذكر الروائي مبررات اخرى، وجيهة للمطالبة بعقد مؤتمر عن الرواية العراقية الحديثة والتحولات الجارية.

دعا الانباري الى عقد هذا المؤتمر الخاص بكتاب الرواية العراقية من الداخل والخارج لبحث التقنيات والأساليب بالنظر الى سخونة الموضوعات المكتوبة ومأساويتها.

والاكيد ان عقد مؤتمر كهذا تكون القيمة الادبية الفنية هي السائدة فيه لا المزايدات السياسية، سيكون مفيدا جدا وخطوة مهمة في تاريخ الرواية العراقية مثلما كان المؤتمر الاول للرواية العراقية.

ينبغي التحضير لهذا المؤتمر ووضع محاوره بالتشاور بين مجموعة فاعلة تنظيميا من النقاد والروائيين، وان تكون مساحة الحرية للبحوث المقترحة واسعة جدا سعة آفاق الرواية الحديثة وتجاربها.

ليكتب الروائيون ما يريدون عن كيفية (صناعة) رواياتهم وعن عناصرها الاولى وموجهاتها وتشكيلاتها الكروكية واسكيجات اعمالهم، فسيكون هذا امرا ممتعا وضروريا معا،ليكتب الروائيون عن المناطق المحرمة المسكوت عنها – لو ظل السكوت واردا – وليكتبوا عن الغربة وخيباتها وحالات الضعف الانساني التي عالجتها رواياتهم، وليكتبواعن استباحة الانسان بيد الجلادين، وليكتبوا أيضا عن العائدين الجدد الذين ابتز بعضهم الناس وساهم في التوجهات الخاطئة في القتل والتهجير وشراء الذمم والاراضي والدور بغير حساب.

جزء من نص شاكر الانباري ودعوته مفقود والذي يمكن إضافته الكثير الذي يؤكد حرص الروائيين والنقاد على المصارحة التي نرجوها مصارحة تاريخية تتمتع بأريحية المثقف المسؤول وأحساسه العالي بتاريخية المؤتمر وحساب كل كلمة فيه.

جزء من نص الانباري مفقود بقصدية، أذهو لم يشا الاشارةالى تفصيلات اخرى غير التي ذكرها ولم يشأ فتح الجروح بل مناقشة ما كتب على ضوء ما حدث ويحدث.

يقينا أن رواية عراقية جديدة تكتب اليوم وان مؤتمرا لها يعد له بمسؤولية لا تتوخى الربح والخسارة واستلهام تجارب الامم الاخرى وفتح جلساته للمعنيين دون شروط مسبقة، سيكون مؤتمرا ناجحا بامتياز.

من البرج العاجي

الموسيقى واللغة الشعرية

فوزي كريم

هناك علاقة عميقة وتاريخية بين الشعر والموسيقى بالتأكيد. في مراحل الإنسان المبكرة كان الشعر تعبيرا شفاهيًا عن اللحظة الراقصة. لدى اليونان كانت كلمة الشعر تعني الموسيقى أيضا. الشاعر العربي القديم كان يُلقي قصيدته مُنغّمة، ولكن هذه العلاقة لم تصل إلى مرحلة تُشغل الوعي النقدي بكثافة لدى الشاعر والموسيقي على السواء كما وصلته في عصرنا الحديث على يد كل من الموسيقي فاغنر و الشاعر ملارميه.

تعرضتُ لهذه العلاقة في كتابي «الفضائل الموسيقية» (دار المدى ٢٠٠٢)، فهو مكرس لها، ولكن هذه العلاقة لدى كل من فاغنر وملارميه قد بقيت غير مُسهَبة بالطريقة التي توفرت في كتاب جديد عن دار Ashgate تحت عنوان Mallarme and Wagner: Music and Poetic Language.

كان فاغنر (١٨١٣-١٨٨٣) من الموسيقيين القلائل ممن أسس، إلى جانب نتاجه الموسيقي، نتاجا نظريا مؤثرا. في مرحلته الأولى كان ثوريا في السياسة. ثم سرعان ما كرّس طاقته لأن يكون ثوريا في حقل الفن. وبالفعل كانت أوبراته كذلك. ولقد أرادها صدى تطبيقيا لموقفه النظري الذي ثبّته في كتاب «الأوبرا والدراما». كان يدعو إلى وحدة، تكاد تكون مثالية للفنون، تجمَع كلها في فن «الدراما الموسيقية»، كما كان يسميها، ولكن لكي يحُل مشكلة الفارق بين اللغة ذات الدلالة والصوت اللحني ابتكر مفهوم «الليتموتف»، وهو: وحدة موسيقية تجسِّد فكرة، حالة شعورية، موقفا. ويتم هذا لدى الموسيقي عن طريق الغريزة. هناك يتم التلاقح المتبادل بين الكلمة والنوتة الموسيقية، بين المعرفة واللذة، بين الفكر والحس.

انتشرت موسيقى فاغنر في فرنسا مثل موجة نارية في الوسط الثقافي، والشعري خاصة، قادت بودلير إلى فهم جديد صار يسميه Correspondence، أو التطابق بين الفنون وبين الحواس المختلفة التي خُصّت بها، فأصبحت حاسة السمع تسمع اللون، وحاسة الرؤية ترى اللحن، هذه الفكرة انحدرت لتترسب في أعماق الشاعر ملارميه، الذي أصبح فاغنريّاً متحمسا.

ملارميه (١٨٤٢-١٨٩٨)، رائد الرمزية، وجد في محاولة التقريب بين «الفهم» و«الشعور» لدى فاغنر ملاذا. صار يطمع في تأليف اللغة الشعرية بحيث تأتي الكلمات سوية كالنوتات الموسيقية، معتمدا مثل فاغنر، على الغريزة، لا المنطق، في استيعاب ذلك. صار «يحفر عميقا في تربة اللغة ذاتها، حيث تُدفن عميقا التداعيات البدائية للمعاني، والذاكرة الجماعية، في المستويات الدنيا للغريزة والعلاقات الصوتية التي يمكن إدراكها». صار ملارميه يحاول نَصا يجمع بين إدراك المفهوم وفيض المشاعر. بين السياق المنطقي وسياق المشاعر والمخيلة. بمعنى آخر بين المقالة وقصيدة النثر في النص الواحد، التي حاولها مرات عديدة.

الكتاب الجديد يذهب إلى أبعد من ذلك، إلى التفاصيل اللصيقة بالوعي الموسيقي، والوعي الشعري على السواء. الوعي اللصيق بفيض المعرفة في الحضارة الغربية. هذا الفيض الذي لم نقرب شاطئه إلا بصورة متعالية، بفعل الإحساس بالنقص والحرج. في ندوة قرأتُ عنها جرت في الكويت قال كاتب طليعي واسع الشهرة بثقة: «إن فاغنر كان يرى بأن على الشاعر أن يؤلف بروح الموسيقي وأن على الكلمات أن تكون محددة، قوية، موحية. وطالب الشعر بأن يعترف بأن طموحه (الخفي والعميق هو أن يتحول في النهاية إلى الموسيقى). من خلال موسيقاه ونظرياته حث فاغنر الرمزيين على إدراك الشكل الشعري بطريقة أكثر حرية وتنوعا».

ما من جملة في هذا الكلام صحيحة، فملارميه والرمزيون جاءوا بعد فاغنر بسنوات، وهم الذين تأثروا بموسيقاه وموقفه النظري، دون حث مباشر منه أو توجيه، لأنه ما كان منشغلا في كل كتبه بشعر الشعراء، وحين تحدث عن العلاقة بين الموسيقى والدراما إنما انشغل في موسيقاه بمحاكاة الشعر، لا عن طريق الكلمات بل «الليتموتف» اللحني. أما «الكلمات التي يجب أن تكون محددة، قوية، موحية» فإنشاء مجاني شائع في عربية هذه الأيام. وجملة «كل الفنون التي تطمح الى أن تكون موسيقى»، التي وضعها على لسان فاغنر، فكلمة شهيرة للناقد الانجليزي وولتر بارتر، عراب النظرية الجمالية وفكرة الفن للفن.

متابعة

الروائي المغترب علي عبدالعال في ملتقى الخميس الابداعي

جمرٌ عراقي على ثلج سويدي

محمود النمر

ضيف ملتقى الخميس الابداعي الروائي المغترب علي عبدالعال الذي عاد من منفاه السويدي بعد مرور ثلاثة عقود من الغربة، وحضر الحفل عدد من الادباء والمثقفين، وقدم الجلسة الشاعر كاظم غيلان، الذي قال في بداية حديثه: حين يحتفل الوطن بمثقف منفي ذلك شيء عظيم، يؤكد إصرار الثقافة في انتصارها على كل قبح عشناه ونعيشه بدءاً من مجازر ٨ شباط ١٩٦٣مرورا بقصر النهاية والرضوانية والاولمبية، نحن الذين نحتفل ألان بعلي عبد العال ومثلما احتفلنا بالآخرين الذين عادوا إلى حضن الوطن،نستقبلهم بفرح غامر لأنهم يحملون لنا لوعة الغربة ممزوجة بحب الوطن، يعود لإعادة صياغة الجمال من جديد.

بعد ذلك ألقى الشاعر رياض النعماني كلمة جاء فيها: قامة بطول ومهابة الصبر المرير المنحدر من سلالة التحدي والبسالة والأزمنة الموغلات بالخيول والميادين،وقرع الاشتباكات،المدوية على ارض الموت والخلق والتحولات والسحر،والصعود الاستثنائي الى موطن الضوء والإشارات، خرجنا إلى الهباء معا، فتيةٌ لاتعرف الوراء...فتية مندفعة بأكثر مما تملك وما تستطيع...إلى الإمام...الى الأمام، فتية لاتعرف الوراء...تؤمن بالخارق وتروم كسر الأقواس لتحرر العبارة من قيد الحد... الفتحُ هو ماكان يشغلها...غامرت بكل شيء واختارت الهاوية، كي تبدأ الصعود...وكانت تنطفئ شمسا... فشمسأ، لكنها ظلت تواصل صعودها الى علو،يأخذها نحو سفح جديد، ترتقي منه ثانية الى مرق وذرى جديدة،تطل منها على مطلق يلهمها فتنةً التجربة ووجودها الهائل المستديم.

وفي كلمة الى الشاعر عدنان الفضلي اشار فيها الى: ان تنغرس اقدامك في الأرض وفجأة تجد من يقتلك ويرمي بك خارج أقواس ذلك الوطن وبعيدا عن جذر كان يصلك بالأشياء كلها حينها ماذا ستفعل، واي عالم يمكن ان يحتويك،علي عبد العال الذي أخذته ثقافته إلى ابعد من وطن واكثر من خارطة، وحين استرسلت تلك الذاكرة في سرد الحدث، فكان ناتج هذا المزج خمس روايات اودع بداخلها شجن روحه ووجع قلبه، وها نحن نسمع منه حكايات الجمر العراقي والجليد السويدي هذه الحكايات التي ما كان لها ان تصير بيننا لولا تلك الصفقة الذكية التي ارتكبها هذا الهذياني الجميل فتحية له ولجمره وللجليد.

وقال الروائي علي عبدالعال: البشرية جنس واحد مع ذلك لايوجد انسان له بصمة ابهام تشبه شخص اخر في هذا العالم، الحياة في منظوري الخاص « معركة « ابدية بين العناصرالمكونه لها والمحيطة بها، وهذه المعركة تنتهي بالموت الحتمي لجميع العناصر المشتركة فيها،كنت ادرك بشكل عفوي على نحو ما انني «كائن» زائل ولست ادوم اكثر من وقت يمر بين الشروق والغروب بحساب البعد الكوني لذا لم اكن اهاب الموت وقاتلت بضراوة جندي باسل من اجل الحب والحرية والبطر الرائع الذي يجب ان يتمتع به البشر سواسية في جميع انحاء العالم، وعن تجربته في الكتابة قال:اصدرت كتابي الاول في بيروت عام ١٩٨٧ «المشي في الحلم « وفي عام ١٩٩٦صدرت لي روايتي الاولى «مقتل علي بن ظاهر ومتاهته «في السويد وتناولت الرواية تجربتي الكفاحية في صفوف الانصار،وفي عام ١٩٩٨اصدرت مجموعة قصصية بعنوان «العنكبوت»،وفي خضم العمل في السويد حيث عملت اخيرا وبشكل مستقر موظفاً في المكتبات السويدية العامة،كنت احاول وسط هذا العمل الروتيني ان اكتب فقد كتبت روايتي«اقمار عراقية سوداء» وذلك في عام ٢٠٠٣وهذا العمل عرفني على القارىء العراقي والعربي في السويد،وفي عام ٢٠٠٥ صدرت لي رواية جديدة في دمشق « ميلاد حزين «وكذلك «عالم صغير جدا» في عام ٢٠٠٧ عن وزارة الثقافة السورية،ورواية «جمر على ثلج سويدي «عن دار التكوين دمشق.

الكتابة الروائية هي عملية احترافية تتم على فترات طويلة الامد..بعد ذلك كانت هنالك مداخلات من قبل الادباء والمثقفين.